مكتبة المشورة الكتابية

حررني

الشكر حتى في وقت الألم

Susan Lutz

مركز دراسات المشورة الكتابية
NOUTHETIC

اسم الطبعة باللغة العربية:
الشكر
حتّى في وقت الألم
الإعداد الفني: خدمة «ذهن جديد»
New Renovaré Ministry
www. nermo.net
email:info@nermo.net
المسئول: د. ياسر فرح
المترجمة: مرام نافع طحان
المراجعة اللغوية والتعريب: وائل اليان حداد
التليفون : 22040827 (202+) - 22040809 (202+) - 01203084135 (2+)

«**Renovaré**» كلمة لاتينية بمعنى «**to Renew**» أي «**يجدد**»
رسالتنا هي: فاتركوا سيرتكم الأولى بترك الإنسان القديم الذي أفسدته الشهوات الخادعة، و**تجددوا** روحًا وعقلًا، والبسوا الإنسان الجديد الذي خلقه الله على صورته في البر وقداسة الحق. (أفسس 4: 22-24)

الناشر باللغة العربية: **مركز دراسات المشورة الكتابية «Nouthetic»**
E-mail: Noutheticegypt@gmail.com

«**Nouthetic**» كلمة يونانية بمعنى **المواجهة الشخصية** (بالتوبيخ أو الانذار أو التعليم أو النصح) **بمحبة شديدة** واهتمام **بغرض التغير والتطبيق الشخصي** لحق الله
رسالتنا هي: «وأنا نفسي متيقن من جهتكم يا إخوتي أنكم أنتم مشحونون صلاحًا ومملوؤن كل علم. قادرون أن **ينذر** (**ينصح**) بعضكم بعضًا.» (رومية 15: 14)
مطبعة: سلفر ستار : 01221066730
رقم الإيداع بدار الكتب:
الترقيم الدولي: 978-0-87552-688-1

Original English Title:
Thankfulness
Even When It Hurts

Publisher: P&R Publishing
Author: Susan Lutz
© 2002
ALL RIGHTS RESERVED

The project of securing the publication rights to, raising the funds for, and overseeing the translation of biblical counseling-related books and training materials is a ministry of Overseas Instruction in Counseling (www.DiscoverOIC.org) a United States-based mission agency that trains biblical counseling trainers around the world.

© جميع حقوق النشر والتدريب والتعليم محفوظة للناشر

هناك أمـرٌ غريب بشأن الشكر، فنـادرًا ما يبدو مناسبًا للموقف. ففي مجتمعنا الذي يتّسم بالتوقعات العالية والإشباع الفوري، يبدو الناس الذين يشكرون على الأمور الجيدة في الحياة غريبون نوعًا ما – سُذّج ولطفاء وحسّاسون. يبدو الشكر منطقيًا لأشخاصٍ تدور حياتهم حول عبارات التهذيب والشكر.

إلا أنّ القناعة بذلك تكون أصعب عندما تفكّر حيال أن تكون شاكرًا وسط الظروف المؤلمة. وفي هذه الحالة، يبدو التشجيع على الشكر خاليًا من المشاعر بل وحتّى أمرًا قاسيًا.

الشكر هو فكرة الله

هذا ما يحدث عندما نأخذ الفكرة الكتابية ونتفاعل بناءً على تجاربنا الخاصة. ولكن لا يبدو أنّ الله يرى الشكر في أيٍّ

من هذه الطرق. فالكتاب المقدَّس مكتظٌّ بالتعليمات والتشجيعات والدعوات كي نشكر الرب، وبأمثلةٍ عن أناسٍ قاموا بذلك. فسفر المزامير يفيض بالتعبيرات والتشجيعات على تسبيح الله.

- **«حَوَّلْتَ نَوْحِي إِلَى رَقْصٍ لِي. حَلَلْتَ مِسْحِي وَمَنْطَقْتَنِي فَرَحًا. لِكَيْ تَتَرَنَّمَ لَكَ رُوحِي وَلاَ تَسْكُتَ. يَا رَبُّ إِلَهِي إِلَى الأَبَدِ أَحْمَدُكَ.»** (٣٠:١١-٢١)

- **«خَلِّصْنَا أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُنَا وَاجْمَعْنَا مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ لِنَحْمَدَ اسْمَ قُدْسِكَ وَنَتَفَاخَرَ بِتَسْبِيحِكَ.»** (٧٤:١-٦)

- **«إِلَهِي أَنْتَ فَأَحْمَدُكَ. إِلَهِي فَأَرْفَعُكَ. احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ.»** (٨١:٨-٩٢)

يتابع العهد الجديد بنفس الأسلوب. فمعظم رسائل الرسول بولس تبدأ بشكر الله من أجل عمله في الشعب الذي يكتب إليه الرسول بولس. إنه يجسّد الشكر ويشجّع قرّاءه على الاقتداء به بآيات كالتالي:

- كورنثوس الثانية ٩:٥١ **«فَشُكْرًا لِلَّهِ عَلَى عَطِيَّتِهِ الَّتِي لاَ يُعَبَّرُ عَنْهَا.»**

- فيلبي ٤:٦ **«لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ**

وَالـدُّعَـاءِ مَـعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ.»

- كولوسي٤:٢-٧ «**فَكَمَا قَبِلْتُمُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ الرَّبَّ اسْلُكُوا فِيـهِ، مُـتَـأَصِّـلِـيـنَ وَمَبْنِيِّينَ فِيهِ، وَمُوَطَّدِينَ فِي الإِيمَانِ، كَمَا عُلِّمْتُمْ، مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالشُّكْرِ.**»
- تسالونيكي الأولى٦١:٥-٨١ «**اِفْـرَحُـوا كُـلَّ حِـينٍ. صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ. اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، لأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُم.**»

وهكذا تستمر القائمة ولاسيما عندما تُدرك أن كلمة **شُكر** في اللغة الأصلية اليونانية

والعبرية للكتاب المقدَّس مرتبطة بالكلمات التي تُرجِمت إلى **بركة**، و**تسبيح**، و**بركة مُعلنة**، و**إعطاء المجد**. إنّ الكلمات تسبيح، وبركة، وتمجيد، وابتهاج، وتمجيد الرب، تتداخل جميعها مع الشكر. إنه جزء كبير من الرسالة الكتابية لنا.

لماذا نشكر؟

لمَ هذا الأمر مهم جدًا؟ هل الله متزعزع ويعتمد علينا لندعم تقديره لذاته؟ كلا. هل الله مغرور وأناني؟ هل يتجاوب مع الذين يمجّدوه فقط؟ كـلا. هـل هـذا لأنـه مـزاجـي وغـيـر مستقر، ومـن الممكن أن يفقد صوابه ويؤذينا جدّيًا إن لـم نسعده؟ هـذه الأسـبـاب أبعد مـا تكون عن الحقيقة. فالله لا يشبه آلهة الأساطير اليونانية. إنّ الكتاب المقدَّس مليءٌ بوصايا تقديم الشكر لله، لأنّ الشكر ليس من غريزتنا الإنسانية، وبتلك

الطريقة نتزامن مع باقي الكون. قال يسوع في إحدى المرات «**إِنَّهُ إِنْ سَكَتَ هَؤُلاَءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!**» (لوقا١٩:٤٠)، بهذه الطريقة تحفّز بقية العالم المخلوق على تقديم الشكر.

ولكن العالم المخلوق يعلم شيئًا لا نعلمه نحن البشر. وهو يتناغم أكثر مع السماء، حيث يتمّ اختبار الحقيقة الروحية والواقع دون تشويه. فكلّ صورة يعرضها الكتاب المقدَّس عن السماء تحتوي على مشاهد، تقف فيها مجموعة متنوعة من المخلوقات أمام الله وتنطق بالتسبيح والشكر والعبادة. نقرأ في سفر رؤيا يوحنا ٥، عن «**صَوْتَ مَلاَئِكَةٍ كَثِيرِينَ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ، قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْحَمَلُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ**

وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ.» (الأعداد١١-١٢). ومن ثم يكتب «**سَمِعْتُهَا قَائِلَةً: لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمَلِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ.**» (عدد١٣).

إنّ تقديم التسبيح والشكر لله يبدو استجابةً طبيعية وحقيقية وتلقائية لبقية العالم المخلوق. بينما يُعتبر الجنس البشري هو الاستثناء الملحوظ. في الأساس، نحن لسنا عاديين! فإذا رأينا الأمور في حقيقتها، سيكون التسبيح والشكر هما ما نقوم به طوال الوقت بوضوح.

لماذا يُعدّ الشكر أمرًا غير طبيعي بالنسبة لنا؟ يمكن أن يخرج معظمنا بجزءٍ من الإجابة على الأقلّ. يمكن أن نقول إننا نعيش في عالمٍ فيه الكثير من المعاناة والشر، فكيف نكون شاكرين كلّ الوقت. يتّفق الكتاب المقدَّس على أننا نعيش

على كوكبٍ أتلفته الخطية، وحيث لا يوجد أي شيء كما ينبغي له أن يكون.

ولكن يغوص الكتاب المقدَّس إلى أعمق من ذلك. إذ يعلِّمنا أنّ الخطية لم تكن هي المسؤولة الوحيدة عن إتلاف بيئتنا ونظامنا الخارجي، ولكن كلٌّ منهما قد تأثر بنا داخليًا. كلّ واحدٍ منّا يبدأ حياته منفصلاً عن الله. فنحن لا نعرفه وليست لدينا علاقة معه، ولا نثق به – حتّى إننا لا نحبه. هذه المشاعر طبيعية بالنسبة لنا، ولكن بالنسبة لبقية الكون هذه أكثر حالة غير طبيعية ومأساوية يمكن تخيّلها. إنّها تتركنا عميانًا أمام الكثير من الحقائق الروحية، حتّى عندما نبحث عنها.

ومن غير المدهش، أن يكون لها تأثير مباشر على قدرتنا وميلنا لأن نكون شاكرين. تصف رسالة رومية ١ حالة الإنسان بهذه الطريقة:

«لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلَهٍ بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ.» (الأعداد ٢١-٢٢).

هذه صورةٌ مُظلمة وحالةٌ يائسة. ولكن هذه هي المشكلة التي جاء يسوع إلى الأرض لكي يحلّها. لقد أزال حاجز الخطية بموته نيابةً عنّا، ويحضر أيّ شخص يثق به إلى علاقةٍ مع الله باعتباره الأب السماوي. وعندما يبدأ هذا، نبدأ العيش بواقعٍ جديد بالكامل – الواقع الذي عرفه باقي الكون طوال الوقت.

في النهاية، ذلك هو السبب وراء إخبار الكتاب المقدَّس لنا بأنه يمكننا تقديم الشكر لله حتّى ونحن هنا على الأرض. فالآن لدينا سبب لم يكن لدينا من قبل. والشكر يسمح لنا بأن نكون

جزءًا مما يجري في السماء حتّى قبل أن نصعد إلى هناك.

مذاق ميراثنا

تقديم الشكر يمنحنا مذاق ميراثنا المستقبلي كـأولاد الله. هـذا بـحـدّ ذاتـه سيكون كافيًا، ولكن يدعونا الله أيضًا لأن نكون شاكرين لأنه يعلم أننا لسنا في السماء بَعد. فهو يفهم العالم الذي نعيش فيه. ويدعونا لأن نكون شاكرين كحمايةٍ ملموسة وعملية ضدّ المخاطر الروحية في الحياة هنا على الأرض.

ماذا أعني بذلك؟ في جميع ظروف وعلاقات الحياة، نتواجه مع اختيار: كيف سنتجاوب معه؟ هل سنقترب من الله أم نبتعد عنه؟ يريد الشيطان من كلّ موقف أن يكون إغراءً للشكّ بالله والابتعاد

عنه. ولكن الله يريده أن يكون أمرًا يصقل إيماننا ويدفعنا للتحرك نحو الله والثقة به.

أن نكون شاكرين، هذه إحدى الاستجابات التي تقوّي علاقتنا مع الله. فيمكن للشكر أن يساعدك في ستّ طرق على الأقل.

بمجرد أن تكون شاكرًا، تدخل محضر الله. حيث يتمّ تذكيرك على الفور بأنك لستَ وحدك في الموقف الذي أنت فيه، لستَ معزولاً، وتشعر وكأنك تُركت وحـدك لتحارب في معاركك بمفردك. عندما تكون شاكرًا، تتذكر أنك تعيش حياتك في محضر الله. الشكر ليس تقنية تتحدث بها إلى نفسك بصيغة ذهنية إيجابية. الشكر يذكرك أنّ لديك علاقة مع الله الحيّ. فهو يصغي إليك ويشترك معك. إنه موجود معك. إنك تفكر وكأنّك في السماء، حتّى وإن كانت ظروفك تبدو خلاف ذلك.

بمجرد أن تشكر، تبدأ في رؤية حياتك بطريقة مختلفة، من خلال عينَي الله. فلن تكون المشكلة هي المركز بعد الآن، ولكن الله هو المركز. وهذا بحدّ ذاته يولِّد راحة مذهلة.

هناك بعض المواقف الصعبة والمؤلمة جـدًا لـدرجـةٍ تبدو وكأنك لا تستطيع النظر إلى أيّ مكانٍ آخر. لا يمكنك النظر إلى «الخلف» والتفكير بما حدث في الماضي. لا يمكنك النظر إلى أحد الجانبين والتفكير بما يحدث الآن. لا يمكنك النظر إلـى الجانب الآخـر لتفكّر بما يمكن أن يحدث أو ما ينبغي أن يحدث الآن. لا يمكنك النظر أمامك للتفكير بما ينتظرك. فكلّ شيء ساحق جدًا بدون الله. لا يمكنك رؤية كيفية ترابط أيّ شـيء في حالتك مع وعود «الصورة الكبيرة» التي وضعها الله في كلمته.

تشعر وكـأنّ كل ما يمكنك فعله هو التركيز على الخطوة التالية الصغيرة التي أمامك.

ولكن توقف للحظة. في تلك المساحة الصغيرة من الخطوة التالية التي تحتاج أن تأخذها، قم بإيجاد شـيء ما لتشكر عليه. قم بإيجاد مع يذكرك بأنّ الله معك. قد تكون – آية كتابية، مكالمة هاتفية من صديق يذكّرك بأنّ الله لم ينسَ، إجابة محددة على الصلاة. أُشكر الله تحديدًا على ما ذكّرك بحضوره. دعه يشكّل الطريقة التي ستتّخذ بها الخطوة الصغيرة التالية. يريدك الله أن تـرى أنّ لا شـيء يحدث في حياتك، إلاّ ويمكن استخدامه بطريقة تعويضية، أيّ يمكنه استخدامه للخير، ليباركك ويساعدك على النمو في فهمك لـه. هـذا يقول الكثير، ولكن الله هو الذي يقوله! يقول الرسول بولس

في رسالة رومية٨:٢٨ «**وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ.**» الله على العرش، والأحداث التي في حياتك – حتّى السيئة منها – ليست خارج نطاق نفوذه. لا نحتاج أن نشكر من أجل الشرّ، ولكن من المفترض أن نشكر من أجل قدرة الله على إبطال الشرّ واستخدامه للخير.

لقد أدرك يوسف في العهد القديم هذا الأمر عندما واجه إخوته، الذين خانوه وباعوه عبدًا، وتورّطوا بجميع أنواع الشرّ في حياته. «**أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا.**» (تكوين٥٠:٢٠)

عندما تكون شاكرًا، يساعدك هذا في إدراك أنّ مشاكلك أو ظروفك ليست هي من يحدّدك.

فالله قد سبقها وبإمكانه التفوق عليها. إن كنت تنتمي ليسوع، اعلَم أنّ فشلك لا يعرّف عنك، ولا خطاياك أو نقاط ضعفك أو أعداءك. فالكلمة الأخيرة ليست لهم، وإنما لله.

بمجرد أن تشكر، ستهزم جهود الشيطان التي يبذلها للسيطرة على تفسيرك للواقع. يريدنا الشيطان دائمًا أن نشكك بالله وأن نبتعد عنه. فهذا ما يحدث منذ جنة عدن (تكوين٣:١). وبدون معونة الرب، تميل قلوبنا لهذا النوع من التفكير. بسبب الخطية يكون الشكّ بالله هو «وضعنا الافتراضي». إنّه افتراضنا الطبيعي.

في إحدى المرات تحدثت مع امرأةٍ كانت المخاوف تستولي على حياتها بالكامل. قلت لها، «يبدو وكأنّ مخاوفك على سريعة الاستجابة. فهي موجودة هناك، مطوَّرة بالكامل، بمجرد

الضغط على زرّ عاطفي واحد. حتّى إنك غير مضطرة للدخول في مشكلة كي تفكري بتلك المخاوف.» ولأنها كانت تفكر بها بشكلٍ دائم، شعرت بأنها حقيقية جدًا وطبيعية جدًا وموثوقة جدًا بالنسبة لها. لقد وثقَت بها لأنها كانت مألوفة وتأتي إليها بسهولة. ولكنّها كانت أكاذيب تدمّر حياتها.

الشكر يكسر هذه الدائرة. فهو إحدى طرق الله لإعادة ضبط وضعنا الافتراضي، إنّه يجدِّد أذهاننا ويضعنا في تلامس مع قلوبنا الجديدة، التي تعرف أنّ الله صالح. يقول بولس في رومية٨:٣٢ «**اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟**» يجب أن يكون هذا هو وضعنا الافتراضي.

لدى معظم الناس سلّم تنازلي من السلبية التي تنشط في رؤوسهم لسنوات. فما أن يفكروا بالفكرة السلبية الأولى، يعرفون تمامًا أين سينتهي بهم الأمر – فجميع الطرق نحو الأسفل. يعرفون مسبقًا إلى أين ستؤدي كلّ فكرة وجميع الأفكار. ومرة أخرى، لأنّ الأفكار مألوفة جدًا، لذلك تبدو قوية وغير قابلة للجدل. إن كان هذا الأمر صحيحًا بالنسبة لك، تذكَّر ما يلي: الشكر هو طريق الرجوع عن تلك الأفكار والتحوّل نحو الرب، والثقة بما يقوله عن حياتك. ومع الوقت ستصبح هذه هي المشاعر الحقيقية والطبيعية بالنسبة لك.

بمجرد أن تشكر، تبدأ بربط حياتك بوعود الله. تتعلم كيف ترى ظروفك من خلال عدسة كلمة الله، بدلاً من تفسير كلمة الله من خلال

عدسة تجاربك، التي دائمًا تخفِّف وتقلِّل وتُنقص من قيمة الله. هذا يشبه النظر من خلال نهاية التلسكوب الخاطئة.

هذا ما حدث عندما كان شعب إسرائيل على مشارف أرض الموعد (عدد١٤). أرسلَ موسى اثني عشر رجلاً ليستطلعوا الأرض قبل الذهاب لغزوها. اتفقوا جميعًا على أنها أرضٌ رائعة، تمامًا كما وعد الله. ولكن ركّز عشرة رجالٍ منهم على المخاطر التي سيواجهونها إذا حاولوا غزوها. وهكذا غرسوا الخوف في الشعب حتّى إنهم أرادوا العودة إلى مصر!

ردَّ الرب، «**حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هَذَا الشَّعْبُ وَحَتَّى مَتَى لا يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الآيَاتِ التِي عَمِلتُ فِي وَسَطِهِمْ؟... إِنَّ جَمِيعَ الرِّجَالِ الذِينَ رَأُوا مَجْدِي وَآيَاتِي التِي عَمِلتُهَا فِي مِصْرَ**

وَفِي البَرِّيَّةِ وَجَرَّبُونِي الآنَ عَشَرَ مَرَّاتٍ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِي لنْ يَرُوا الأَرْضَ التِي حَلفْتُ لآبَائِهِمْ. وَجَمِيعُ الذِينَ أَهَانُونِي لا يَرُونَهَا» (عدد١٤: ١١، ٢٢-٢٣).

لقد وعد الله شعب إسرائيل بحفظِهم، وقد حفظهم. وفي المسيح قطع لنا الكثير من الوعود، ويريد أن يحفظها أيضًا. يريدنا أن نصدقه! هو شخصيًا – وإهمالنا لعلاقتنا معه بسبب عدم الإيمان، أمرٌ مهم! الشكر يساعدنا على تفسير حياتنا في ضوء أمانته.

بمجرد أن تشكر، تبدأ أيضًا برؤية حالتك ونفسك – قلبك – من خلال عيني الله. هذا يعني بالنسبة للمؤمن أن تتعلَّم كيف تطبّق ما فعله يسوع على تفاصيل حياتك.

على سبيل المثال، يقول الرسول بطرس في رسالته الأولى١:٣-٥ «**مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ فِي السَّمَاوَاتِ لأَجْلِكُمْ، أَنْتُمُ الَّذِينَ بِقُوَّةِ اللهِ مَحْرُوسُونَ، بِإِيمَانٍ، لِخَلاَصٍ مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الأَخِيرِ.**» تلك حقيقةٌ كبيرة؛ يأتي بعدها فهم الله الشخصي لاحتياجاتك وخططه من أجل نموّك. «**الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ، مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ – إِنْ كَانَ يَجِبُ – تُحْزَنُونَ بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.**» (بطرس الأولى١:٦-٧).

عندما يكون لديكُ قلب شاكر، فإنك تؤكّد بذلك أنّه بسبب يسوع، يصل الله إلى أمرٍ جيد في حياتك. هل لاحظت وأنت تقوم بذلك، أنه يمكنك الاعتراف بأنك ضعيف مع استمرار شعورك بالأمان؟ وأنه يمكنك الاعتراف بخطيتك، مع يقينك بغفران الله؟ فتتّضع دون أن تشعر بالخزي. وتكون لديك رغبة أكبر للتعلّم والتقويم لأنك تستطيع رؤية قصد الله المحبّ وراء ما يحدث. (يعقوب١:٢-٤)

بمجرد أن تشكر، تصبح علاقاتك الإنسانية صحيّة أكثر لأنها تتشكل بالإيمان. فتصبح معتمدًا على الله أكثر من اعتمادك على الآخرين.

من المعتاد أن نطالب الناسَ ونصدر أحكامًا عليهم، نتأذى بخوف وبسهولة لأنّ علاقاتنا مع الناس هي التي تسيطر علينا، بدلاً

من التركيز أولاً على علاقتنا مع الله. يجب أن نبدأ دائمًا بالرب وبمقاصده الخلاصية قبل أن نفكر بالناس في حالةٍ معيَّنة. إذا استطعت فهم مقاصد الله الجيدة لك، ستقلّ توقعاتك من الناس ومخاوفك المتعلِّقة بهم. فبينما تستريح في الرب، يلين قلبك ويتقوّى في نفس الوقت. وهذا يمنحك قوة أكبر لتعمل خلال الأمور الصعبة، ورغبة وقدرة أكبر على محبة وخدمة الآخرين.

روحانية وقائية

إلى جانب تقوية علاقتنا مع الله، يعمل الشكر بمثابة واقٍ ضدّ العديد من المشاكل والخطايا. إذا اتّخذت قرارك بأن تكون شاكرًا، على الأرجح ستكون هناك العديد من المعارك التي لن تضطر لخوضها. وكأنك تختار طريق فيه مطبّات أقلّ.

لهذا السبب لا يشجعنا الله على أن نكون شاكرين من أجل الأمور الجيدة التي يمنحنا إياها فقط، وإنما يدعونا أيضًا لأن نكون شاكرين لأجل شخصه كنقطة بداية لنا – كافتراضٍ مسبق، كخطٍ أساسي، كأمرٍ نفعله أولاً كطريقةٍ للحياة. لعدم وجود مصطلح أفضل، ينبغي وضع الشكر في المقدمة بسبب ما نعرفه عنه. وهذا يساعد على الحيلولة دون وقوع كافة أنواع المشاكل الأخرى.

على سبيل المثال، إذا كنت شاكرًا، سيكون أصعب بكثير أن تخاف من الظروف والناس. فأنت تعلم أنّ الله هو المتحكِّم.

من غير المرجَّح أن تدمِّرك الظروف، لأنك تعلم أنّ الله أحبك وقبِلَكَ.

إذا كنت شاكرًا، سيكون من الصعب أن تكون متشائمًا وساخرًا من الحياة. فأنت تعلم أنّ الله لديه مقاصدٌ صالحة.

سيكون من الصعب جدًا أن تكون متكبرًا.

سيكون من الصعب جدًا أن تغضب بسبب شعورك بالبرّ الذاتي.

سيكون من الصعب أن تشعر بالمرارة وعدم الغفران. لأنك لا تشعر باحتياجك لذلك.

إن كنت شاكرًا، من المستحيل أن تيأس.

سيكون من الصعب جدًا أن تكون متطلّبًا وتركّز اهتمامك على احتياجاتك الخاصة.

من الصعب جدًا أن تكون طمّاعًا أو حسودًا.

إذا كنت شاكرًا، ستقلّ كثيرًا نسبة شعورك بالقهر عندما تُظلَم.

وعلى طول الطريق سيعزِّز الشكر قصد الله المحبّ لجذبنا للاقتراب منه أكثر ولجعلنا أكثر تشبهًا به، وسيساعدنا كي نحيا الحياة التي رسمها لنا.

الشكر وسط الشرّ

ولكننا نعلم جميعًا مدى سهولة الصراع مع الشكر، بسبب الشرّ الذي نراه ونختبره في هذا العالم، ولأنّ جميع الأمور التي نقوم بها غير مفهومة.

الاستجابة المسيحية لهذا فريدةٌ من نوعها بين أديان العالم. فالله الذي نخدمه لم يقف بعيدًا منفصلاً عن المعاناة الإنسانية. بل أرسل ابنه ليختبر تلك المعاناة – وعذابات الجحيم – ليضمن لنا الخلاص. لقد سمح الله بالشرّ، ولكنّه ألزمَ نفسه باحتمال الشر معنا وبذلك يمكننا أن نتحرر منه.

كما أوضحت الأناجيل ورسالة العبرانيين، لم يكن هذا مجرد إجـراءٍ شكلي. فقد أمضى ابـن الله الكامل الـقدوس وقته على الأرض محاطًا بالخطية والإغـراء. واجه رفض أبيه والانفصال الكامل عنه عندما حمَلت طبيعته التي بلا خطية كلّ قبح وألم الخطية. وبطرقٍ لا يمكن أن يتخيلها الإنسان، تجاوزت معاناته من الخطية معاناتنا بكثير. «**الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ.**» (العبرانيين٥:٧-٩).

في كتابة **خطوة بخطوة** *Step by Step* يعرض الكاتب James C. Petty أفكارًا حول

سبب عدم كشف الله لكلّ ما نريد معرفته. غالبًا كبشر، لسنا على استعداد لأن نكون شاكرين ما لم نتمكن من تقييم أسباب الله وراء قيامه بأمرٍ ما. الله لا يريد أن يضع نفسه تحت حكمنا، ولكنه يدعونا لأن نثق في شخصه. يقول Petty إنّ المعرفة التي نسعى وراءها عادةً لا تُعطى لنا «من أجل مصلحتنا».

هناك عدّة أسباب تبيّن لنا لماذا ستكون لدينا مشكلة مع مثل هذه المعرفة. أولاً، معرفة الله مستنزفة. إنها وسيلة للخروج من التكلّف وكمية المعلومات.

ثانيًا، المعلومات قد تؤذينا. فالتعامل معها قد يكون سامًا جدًا. معرفة الخير والشرّ محدودة بالنسبة لنا بمحبة الله لنا. فالصالح صالح جدًا والشرّ شرّ جدًا.

«... قد تكون هناك مستويات من اللاعقلانية لأصل الشرّ الذي لا يمكن إدراكه بالمخلوقات المحدودة أو قد يكون الأمر معيقًا إذا كُشفنا عليها الآن...

«... معرفة الخير والشرّ، بالطريقة المحدودة التي نفهمها الآن، كانت نتيجةً لتمرّد الإنسان على الله (تكوين٣:٥). أراد الجنس البشري أن يعرف ويفهم أساس كل ما أمر به الله، ولكن بما أننا لسنا الله، خلقت هذه المعرفة مشاكل هدّدت حياتنا. قد يبدو وكأنّ العنصر التجريبي لمعرفة الشرّ، قاتلٌ. حتّى ما يكشفه الله لنا، يبدو أنه يوصف بلغةٍ مجازية ويتركنا مع أسئلة ليس لها إجابات، ربما أرادها الله عمدًا كذلك من أجل مصلحتنا.

«... وعلى النقيض من المعرفة التي ستَعِد الإنسان بالاستقلالية عن الله، أظهر يسوعُ اللهَ بطريقة غير سامّة وغير قاتلة، ومانحة للحياة. أخبرنا ما نحتاج معرفته كي نتصالح مع الله ولتكون لدينا حياةٌ جديدة فيه. فموته على الصليب غيّر قلوبنا الخائفة والمتكبرة كي نكون مخلوقاتٍ قادرة على الفرح ولا نكون آلهة محبَطة. يمكننا الآن الوثوق بالله الذي يتحكم في مستقبلنا ونركّز على الحياة لأجله وفي حضوره.

«... لم يأتِ يسوع كي يمنحنا منفذًا للأمور السرّية المتعلقة بالعناية الإلهية، وإنما لكي يكشف السرّ المخفي عن كيفية فداء الله للعالم الساقط. فهو يعطينا الحقّ الذي يحررنا. وحقّه يركّز طاقتنا على الطاعة الحالية والخدمة.»[1]

1 Petty, James C. Step by Step (Phillipsburg, NJ: P&R, 1999), 71-75.

منذ بضعة سنوات عُرِض فيلم أمريكي عنوانه The Matrix، وصف العالم الذي يختبر فيه الجنس البشري يومًا بعد يوم حقيقةً كانت مزيفة تمامًا. لقد عاشوا في عالم الحلم المتلاعب، بينما في الحياة الواقعية كانوا مستعبَدين ومستخدَمين حرفيًا من قِبل السباق الغريب. عندما شاهدتُ الفيلم، فكرت أنّه ينطبق تمامًا على ما تفعله الخطية! فقد تحملنا على تصديق الأكاذيب التي تبدو حقيقة، وهكذا نشعر بمشاعر جيدة حيالها! ولكنّها أكاذيبٌ تسمح للشرّ بالسيطرة علينا، وفي النهاية تدمرنا.

المشكلة أنّ هذه الكذبة شاملة للجميع لدرجة لا يمكن أن نفهمها بمفردنا. وإذا حاول الرب وصفها لنا، سنرتعب جدًا من التحرّك! لذا عوضًا عن ذلك، أرسل ابنه ليشتري حريتنا من مملكة الظلمة. ومن ثم أرسل روحه القدوس ليحيا

في داخلنا، وبذلك يكون جميع الذين يثقون به في أمان في حضوره ويقودهم بحقّه، بالرغم من بقائهم على الأرض.

لهذا السبب ينبغي ألا نتذمّر عندما يدعونا الله لنكون شاكرين عندما نعاني، أو عندما لا نحصل على جميع الإجابات. بل ينبغي أن نكون شاكرين! فالشكر هو الطريقة التي يمنحنا بها الله خطًا مباشرًا معه، وعلاقةً فورية وحميمة مع الآب السماوي القوي والمُحِبّ، بالرغم من كلّ الشرّ المحيط بنا. إنها الطريقة التي نتجاوز بها جميع الأمور التي لا نفهمها والتي لا يمكننا إصلاحها، لنضع أنفسنا بين ذراعيّ الله القوي والمُحِبّ.

أن نكون شاكرين، هذا لا يعني أن نحيا في الإنكار أو كبت مشاعرنا أو تجاهل الواقع.

بل يعني أن نكون صادقين، وأن نُحضر جميع تلك الأمور إلى الله الذي وَعَد بأنّه يحبنا، وأثبت ذلك بإرسال ابنه ليكون مخلِّصًا لنا. فالشكر يقرّبنا أكثر من السماء ويساعدنا على التغلب على العالم.

قال يسوع «**تَعَالَوْا إِلَـيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ.**» (متّى١١:٢٨-٢٩).

أين أنت؟ ربما تدرك أنك بحاجة لأن تبدأ من البداية، وأن تطلب من الله أن يحضرك لهذا النوع من العلاقة معه. أشجّعك على اتّخاذ هذه الخطوة.

ربما أنت مسيحيٌ مؤمن بالفعل، ولكنك سمحت للأصوات الأخرى بأن تتحكم بالطريقة التي

تحيا بها حياتك: فالله مزدحم جدًا وأنت في كثير من الأحيان متروك في عبودية لخطاياك وعيوبك الشخصية وللناس والظروف الصعبة. استمع للرب مرة أخرى:

«**لأَنِّـي عَرَفْتُ الأَفْكَارَ الَّتِي أَنَـا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ أَفْكَارَ سَلاَمٍ لاَ شَرٍّ لأُعْطِيَكُمْ آخِرَةً وَرَجَـاءً. فَتَدْعُونَنِي وَتَذْهَبُونَ وَتُصَلُّونَ إِلَـيَّ فَأَسْمَعُ لَـكُـمْ. وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ. فَـأُوجَدُ لَكُمْ يَقُولُ الـرَّبُّ وَأَرُدُّ سَبْيَكُمْ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ كُلِّ الأُمَـمِ وَمِنْ كُلِّ الْمَوَاضِعِ الَّتِي طَرَدْتُكُمْ إِلَيْهَا يَقُولُ الرَّبُّ وَأَرُدُّكُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي سَبَيْتُكُمْ مِنْهُ.**» (إرميا٢٩:١١-١٤).

استمع للرب وتجاوب معه بالإيمان والشكر.

Susan Lutz مشيرة في مؤسسة
المشورة والتربية المسيحية
Christian Counseling and
Educational Foundation
في Glenside, Pennsylvania

ومحررة سلسلة
«حررني» الإنجليزية.

سلسلة كتيبات «حررني»

اضطراب نقص الانتباه (A.D.D.): عقول شاردة وأجساد مربوطة، بقلم إدوارد ت. ويلش.

الغضب: الهروب من المتاهة، بقلم ديفيد باوليسون.

غاضب من الله؟: أحضر إليه شكوكك وأسئلتك، بقلم روبرت د. جونز.

ذكريات سيئة: تخطّي ماضيك، بقلم روبرت د. جونز.

الاكتئاب: الطريق للنهوض عندما تكون منحنيًا، بقلم إدوارد ت. ويلش.

العنف الأسري: كيفية المساعدة، بقلم ديفيد باوليسون، وبول ديفيد تريب، وإدوارد ت. ويلش.

الغفران: «لا أستطيع أن أغفر لنفسي!» ، بقلم روبرت د. جونز.

محبة الله: أفضل من المحبة غير المشروطة بقلم ديفيد باوليسون.

الإرشاد: هل فقدت أفضل ما لدى الله لي؟ بقلم جيمس س. بيتي.

الجنسية المثلية (الشذوذ الجنسي): قول الصدق في محبة، بقلم إدوارد ت. ويلش.

«واحدة أخرى فقط»: عندما لا تقول «لا» ولا تَشبع أمام الرغبات، بقلم إدوارد ت. ويلش.

الزواج: حُلمُ مَنْ؟ بقلم بول ديفيد تريب.

الدوافع: «لماذا أفعل الأشياء التي أفعلها؟» بقلم إدوارد ت. ويلش.

اضطراب الوسواس القهري (OCD): الحرية لمن يعانون من الوسواس القهري، بقلم مايكل ر. إمليت.

الانغماس في الإباحية: قتل التنين، بقلم ديفيد باوليسون.

مرحلة ما قبل الزواج (المواعدة/الخطوبة): ٥ أسئلة يجب أن تسألونها لأنفسكما، بقلم ديفيد باوليسون وجون ينكشو.

الأولويات: إتقان إدارة الوقت، بقلم جيمس س. بيتي.

المماطلة والتأجيل: الخطوات الأولى نحو التغيير، بقلم والتر هينيجر.

إيذاء الجسد: عندما يكون الألم سببًا للراحة، بقلم إدوارد ت. ويلش.

الخطية الجنسية: مقاومة الانجراف والخيانة، بقلم جيفري س. بلاك.

التوتر: سلام وسط الضغوط، بقلم ديفيد باوليسون.

المعاناة: الأبدية تصنع اختلافًا وتغييرًا في المفاهيم، بقلم بول ديفيد تريب.

الانتحار: الفهم والتدخل بقلم جيفري س. بلاك.

المراهقون والجنس: كيف يجب أن نعلّمهم؟ بقلم بول ديفيد تريب.

الشكر: حتى في وقت الألم، بقلم سوزان لوتز.

لماذا أنا؟: عزاء للمنكوبين بقلم ديفيد باوليسون.

القلق: البحث عن طريق أفضل للسلام، بقلم ديفيد باوليسون.